الثورة الثلاثاء 10 ذو الحجة 1431هـ الموافق 16 نوفمبر 2010م العدد (16806)

(الوقفة الكبيرة) لدى الناس

(يوم عرفة).. طقوس الصيام لا تخلو من الابتهاج بمقدم العيد

..يبدو أن يوم(الوقوف) بعرفة وهو التاسع من ذي الحجة قد أعاد بعضا من الطقوس والأجواء الرمضانية لأغلب أفراد المجتمع وذلك ليقينهم المطلق وإيمانهم بفضل هذا اليوم ، وأن صيامه يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده، يوم عرفة فيه فرحتان فرحة صيامه وفرحة عيد الأضحى المبارك، ولأهمية هذه الشعائر لا يجد المسلمون ما هو أكثر من البهجة والسرور في قدوم العيد، ونيل الأجر الكبير لصيام يوم عرفة، الذي له فضائل كثيرة أثبتتها كتب التفسير والحديث ، وهو يوم الوقفة الكبرى كما يسميه البعض ، ويمثل اليوم الذي يليه مناسبة عظيمة تحل على بلاد الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، ألا وهي مناسبة عيد الأضحى المبارك ، وإن مثل هذه المناسبات تستدعي من المسلمين خصوصا وأنهم يعيشون ظروفا قاسية في مختلف بقاع الأرض أن يستغلوا مثل هذه المناسبات والنفحات الربانية ، ذلك أن موسم الحج فرصة عظيمة لمن أعاقتهم ظروف الحياة ومتطلباتها وقعدت بهم المسؤولية تجاه من يعولون وتقطعت بهم السبل فحالت دون إجابتهم نداء الله، أن يجددوا النية لله عز وجل بتلبية أوامره سبحانه دون تلكؤ أو تراخ أو تسويف ، فلنلب نداء الله بصدق اليقين وكمال الإيمان وسلامة التوحيد وحسن العمل وإخلاص النية ، وإذا كان يوم عرفة أو(الوقفة الكبيرة) من أفضل الأيام عند المسلمين ، فكيف يستغل الناس هذا اليوم ؟ وماذا يعرفون عنه ؟ وما أبرز المظاهر والسلوكيات الاجتماعية التي تتجلى صورها لدى الناس في يوم التاسع من ذي الحجة ؟كل ذلك رصدناه لكم في المشاهد التالية :

تحقيق/
صفوان الفائشي

البعض صامه لفضله والبعض انشغل بالتسوق

مشير الشميري – عامل في مطعم بأمانة العاصمة – يبدي فرحته الكبيرة بصيام يوم عرفة وأمنيته أن ينال الأجر والمثوبة على ذلك، حيث يقول: مع أني أعمل في مطعم وأشاهد الطعام امامي بكثرة إلا أني لا أشعر بالجوع، ويوم عرفة يستقبله الناس بالصيام ذلك أنه يعيد لنا ذكريات شهر رمضان الكريم، وعن عدد أقربائه الذين شاركوه صيام هذا اليوم يؤكد أن أغلب أفراد المجتمع صائمون وحتى صغار السن منهم،وهذا ما لاحظه من خلال حجم الإقبال على المطعم الذي يعمل فيه إلى حد أن عدد الذين زاروا المطعم في هذا اليوم لايتجاوزون عدد أصابع اليد، وكأنه يوم رمضاني بامتياز،وهذا ما استشعره صاحب المطعم والعاملون فيه حيث انه لم يتم تحضير إلا كمية قليلة من الطعام بخلاف الأيام الأخرى.

وفي المقابل هناك مشهد آخر ليوم عرفة فقد زاد حجم إقبال الناس على المطاعم ومحلات بيع الخضروات عقب صلاة العصر وأيضاً على محلات بيع السنبوسة والباجية وغيرها من مستلزمات الإفطار وانتعشت حركة المطاعم في بعض الأحياء بشكل لافت،استعداداً لتحضير طعام الإفطار ووجبة العشاء وخصوصا المشويات التي زاد الطلب عليها في أقسام السفري .

للتسوق مشهد

وأثناء مرورنا خلال الفترة الصباحية على الأسواق ومحلات بيع الملابس والأغذية وكل المواد الاستهلاكية في أمانة العاصمة ، لاحظنا إنخفاض أعداد المتسوقين ومرتادي محلات التسوق من الجنسين (الرجال والنساء)، وكانت أغلب المحلات التجارية والسوبر ماركت مغلقة ، كما أن حركة السير كانت خفيفة في الشوارع الرئيسية، واختفت مظاهر الازدحام الشديدة في الأيام التي تسبق العيد، لتنتعش الحياة في أسواق أمانة العاصمة بدءا من وقت الظهيرة تدريجيا وأزدادت أكثر في فترة مابعد العصر، وبدأت حركة الناس بالازدياد في الأسواق لتصل إلى ذروتها في المساء ليكون يوم عرفة(يوماً رمضانياً بامتياز).

ويرى نايف أحمد سعيد الصبري الذي التقيناه في منطقة شعوب عقب صلاة العصر أن الوقت المناسب يوم عرفة لشراء بعض الاحتياجات هو الفترة المسائية أما الصباح فالمحلات لا تزال مغلقة،لأنها ستستمر في استقبال المواطنين والمستهلكين حتى ما بعد منتصف الليل ومن الطبيعي التأخر في العمل مواكبة ليوم عرفة الذي يكون أغلب الناس صائمين نهاره، رغبة منهم في نيل أجر صيام هذا اليوم، ولهذا فإنهم يفضلون التسوق بعد صلاة العصر كما هي عادتهم في شهر رمضان .

أسواق الأضاحي

كما وجدنا أن مفهوم هذا اليوم لدى بائعي الأضاحي (الكباش) وغيرها من الأنعام يختلف عن غيرهم فهو لديهم يوم لمضاعفة ثمن الأضحية ، فليس أمام من يريد التضحية إلا أن يدفع الثمن الذي يراه البائع مناسبا ، فالوقت حرج ، وإذا لم يكسب في هذا اليوم مكسبا يرتضيه فقد لا تأتيه الفرصة ثانية ، ونفس المفهوم كذلك سائد لدى ما يسمى بـ (الدلاّلين) الذين يفوق عددهم عدد الباعة ، حيث يلتف حول كل من يرغب بشراء أضحية أكثر من (٥- ١٠) أشخاص (ما بين عاقل سوق ودلاّل ومصلح ومفاود وجزار) وكل واحد من هؤلاء يريد نصيبه أو مقابل دلالته من الشروة التي غالبا ما تفشل أو تنتهي إلى عراك بين الأطراف المجتمعة والهدف أن كلاً منهم يريد أن يحصل على نصيبه نظير وساطته ،أما يوم عرفة فغير حاضر لديهم .

مشهد آخر ننقله من أحد محلات بيع الملابس الذي يرى صاحبه أن يوم عرفة يوم الحسم بالنسبة له حيث يسعى هو ومن يعمل معه إلى بيع أكبر كمية من الملابس حيث يأتي نهاية اليوم وهو متعب ومرهق بالإضافة إلى استعداده للسفر وبالتالي فهو لا يرى في يوم عرفة غير أنه يوم يزدحم فيه محله منذ الصباح وحتى الثانية عشرة ليلا ، ولا خصوصية لهذا اليوم عنده إلا من منطق الكسب فقط .

فرزة المسافرين

ومظهر ثالث ننقله من فرزة وسائل النقل بين المحافظتين (صنعاء- تعز) حيث تعج بالمسافرين وتشهد ازدحاما لا مثيل له سألنا احد سائقي سيارات الاجرة عن عمله في هذا اليوم(الوقفة)ومفهومه لديه ؟ فأجاب بأنه لا يختلف عن غيره من الأيام سوى زيادة الركاب المسافرين الذين يتمنى أن ينقل أكثر من خمس حملات خلال اليوم والليلة وذلك لتوفير متطلبات العيد ، ويرى في مثل هذه الأيام هو وغيره من السائقين بين المحافظات موسما لزيادة دخلهم المادي ، وهذا يجعلهم يبذلون قصارى جهدهم للذهاب والإياب أكثر من مرة .

ولأصحاب محلات الزبيب والمكسرات فلسفتهم في استغلال هذه الأيام وخصوصا يوم عرفة فهو بالنسبة لهم يوم يشهد إقبالا كبيرا من قبل الناس ، ولذا فهم لا يعيرون هذا اليوم أهمية غير الاستعداد لتوفير طلبات الزبائن الذين أصبح إقبالهم ضعيفا وذلك بسبب ارتفاع أسعار الزبيب البلدي ذي النوعية الجيدة بحسب الذي يعرف الصيام في هذا اليوم وأيام العشر له أجر كبير لكن عمله لا يسمح له بذلك .

العمل عبادة

ماجد احمد العبسي صاحب بقالة في شعوب سألناه عن مفهوم الوقفة الكبيرة لديه أو التاسع من ذي الحجة فقال هو يوم يستحب فيه الصيام لكني لا أستطيع ذلك بسبب أني اعمل بمفردي داخل البقالة والعمل عبادة خصوصا وقد سافر أبنائي الذين كانوا يساعدوني ولذا فهو يوم عظيم ولكن عند أهله على حد العبسي .

الشاب محفوظ الذبحاني- يعمل في أحد محلات بيع العطورات ومستلزمات التجميل- يشكو من ارتياد النساء بكثرة للأسواق خلال الأيام التي تسبق العيد وهذا على حد قوله يجعله وإن كانت لديه نية لصوم التاسع من ذي الحجة لما جاء في بيان فضله لكن عمله يفرض عليه تجنب ذلك خشية أن يكون صيام جوع وعطش دون فائدة .

انشغال بالأضحية

ورغم كل ما سبق من التجاهل ليوم فضيل مثل يوم عرفة وأيام العشر فإن هناك أناساً يعظمون هذا اليوم ويعرفون فضائله حيث يقول إياد البحيري – صحفي – لا شك أن لهذا اليوم فضائل كبيرة وقد وردت أحاديث تحث على صيامه والإكثار من الدعاء فيه ومن الأعمال الصالحة ولذا فأنا أصوم هذا اليوم ، وأقوم بزيارة أقربائي الذين يقطنون في نفس المكان الذي أقيم فيه .

وأضاف : لكن ما نراه هذه الأيام من مظاهر انشغال الناس بتوفير أضحية العيد خصوصا وأنها أصبحت أمراً مضنياً ولم يعد بمقدور الفقراء ومحدودي الدخل شرائها أو الحصول عليها بسهولة وذلك لارتفاع أسعارها ولذا نجد أن هموم الناس اليومية وسعيهم لتوفير متطلبات العيد جعلهم ينصرفون عن استغلال مثل هذه الأيام المباركة .

فرصة للتسامح والتراحم

يونس أحمد الشجاع – موظف – تمنى أن يجعل المسلمون في اليمن وفي غيرها من هذا اليوم ومن أيام العشر فرصة للتسامح والتراحم والتعاطف والتكافل ونشر الخير بين كل أبناء المجتمع ، وان يلتمسوا مشهد التوحد الذي يجسده الحجاج في عرفات الله ، فيجسدوه واقعا فيما بينهم بنشر المحبة والوئام والسلام وغزالة الأحقاد والضغائن وكل ما يؤدي إلى فرقتهم وتشرذمهم واختلافهم .

وأضاف : نعلم أن يوم عرفة (أو الوقفة الكبيرة) يوم يستجاب فيه الدعاء وينبغي علينا أن نكثر من الدعاء لأنفسنا وللمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وان يصلح أحوالنا وينصر إخواننا في فلسطين والعراق وفي غيرها من بقاع الأرض .

تنظيم البلدية

أما شارع جمال بأمانة العاصمة والذي كان في الأيام الأولى من العشر يزدحم بالباعة والمرتادين من المواطنين باعتباره وجهة التسوق لمعظم الناس فقد بدى يوم التاسع من ذي الحجة خاليا من الباعة الباسطين ويربط أولئك الباعة خلو الشارع بقيام بلدية أمانة العاصمة بإخلاء الشارع استعدادا لتنظيمه واستقبالا للعيد وتخفيف حدة الازدحام هناك، الأمر الذي جعل عملية التسوق غير ممكنة قبيل العيد بساعات وهو ماقد ينغص على البعض بهجتهم بالعيد ممن كانوا يأملون الحصول على بعض احتياجاتهم ومتطلباتهم هناك.

من فضائل يوم عرفة

يعد يوم عرفة من أفضل أيام الله عند المسلمين وهو يوافق التاسع من الشهر الثاني عشر (ذي الحجة) حيث يقف الحجاج بعرفة وهو موقع قريب من مكة المكرمة ، ويبعد عنها (٢٢)كم ، كما أنه خارج حدود الحرم ، وهذا المكان محدد بحدود شرعية لا يجوز الوقوف خارجها ، ومن أهم هذه الحدود حد جغرافي وهو وادي عرنة ، وهو واد جاف يقع غرب عرفة وهو الحد الأساسي له ، ثم أن باقي المكان يتخذ شكل قوس واسع محدد بالجبال من جميع الجهات بينما تتميز أرضه بالانبساط .

والوقوف بعرفة يمثل أهم ركن من أركان الحج في الإسلام ، وذلك لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) (الحج عرفة) ، وهذا أسلوب قصر وحصر وتخصيص للدلالة على أهمية هذا الركن .

ويوم عرفة من الأيام الفاضلة ، التي تجاب فيه الدعوات ، وتقال العثرات ، ويباهي الله فيه ملائكته بأهل عرفات ، وهو يوم عظم الله أمره ، ورفع على الأيام قدره ، وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة ، ويوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران .

الإكثار من الطاعات

يقول الشيخ مراد القدسي – إمام وخطيب جامع الشاطبي وعضو جمعية الحكمة اليمانية – لا شك أن العشر الأوائل من ذي الحجة ترتبط بفريضة الحج ارتباطا وثيقا ، على اعتبار أن هذه العشر فضلها الله عز وجل وهي أفضل خير أيام الدنيا.

وأضاف وعادات الناس في بلاد الإسلام مرتبطة بالعقيدة الإسلامية وبالشعائر الدينية ، وما يطلقه البعض في بلاد اليمن على هذا اليوم بقولهم الوقفة الكبيرة ، فإنما يقصدون به الوقوف بعرفة ، وهذا يكون يوم التاسع من ذي الحجة ، وأما قولهم لليوم الثامن الوقفة الصغيرة فليس هناك في الشرعة ما يدل على هذا إذ ليس هناك وقوف وإنما مبيت في منى وهذا المبيت سنة من سنن الحج إذا لم يفعلها الحاج فحجه صحيح ولا يلزمه شيء ، وما أعتاد الناس عليه بتسمية يوم التروية (اليوم الثامن الوقفة الصغيرة) فغير صحيح .

وحول الطريقة المثلى التي يجب أن يسلكها الناس من غير الحجاج في استغلال هذه الأيام أوضح القدسي أن ذلك يكون بالإكثار من العبادات والأعمال الصالحة ، حيث يُسن فيه الصيام لغير الحاج ، لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (صيام عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده) أخرجه مسلم.

يستجاب الدعاء

كما يستحب فيه الإكثار من ذكر الله تعالى والدعاء يوم عرفة فإنه يوم ترجى فيه الإجابة ويستحب أن يدعو بالمأثور من الأدعية مثل ما روي عن علي رضي الله عنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكثر دعاء الأنبياء قبلي ودعائي عشية عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» وسئل سفيان بن عيينه عن أفضل الدعاء يوم عرفة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وفي هذا اليوم تعتق الرقاب وهو عتق عام – بحسب القدسي – للحجاج ولغيرهم فقد روى ابن ماجة في سننه قال : قالت عائشة رضي الله عنها «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة فإنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بكم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء » رواه مسلم.

وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث الحافي – وهو من أحد الصالحين والورعين القدماء– وقال: قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال: له كم أعددت للنفقة، فقال: ألفي درهم قال بشر فأي شيء تبتغي بحجك تزهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال: ابتغاء مرضاة الله، قال: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس: مديون يقضي دينه وفقير يلم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وإن قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين.

وقال القدسي : وفي هذا اليوم نفحات ربانية يمن بها الله على عباده حيث يدنوا من الخلائق ويجيب دعوتهم في هذا اليوم المبارك وكل هذا عام في حق الحجاج وغيرهم ، لذا ينبغي أن يكثر الناس من الطاعات التي شرعها الله لعباده رحمة بهم كي تقربهم منه سبحانه وتعالى ، من الذين حالت ظروفهم وفقرهم دون أدائهم الحج .

استعداد للفرح المباح

مشيرا إلى أن يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذي الحجة سمي بهذا الاسم لما قيل ان الله سبحانه وتعالى عرّف إبراهيم عليه السلام بمناسك الحج ، وقيل لأن الله يتعرّف فيه على عباده بمعنى أنه يجيب دعوتهم ويعطيهم مطالبهم ، وقيل لأن الوقوف بعرفة فيه وقيل سمي يوم عرفة لأن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام ليلة التروية أنه يؤمر بذبح ابنه فأصبح يومه يتروى هل هذا من الله أو حلم فسمي يوم التروية فلما كانت الليلة الثانية رآه أيضا فأصبح يوم عرفة فعرف أنه من الله فسمي يوم عرفة وهو يوم شريف عظيم وعيد كريم وفضلة كبير وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن صيامه يكفر سنتين، فالأصل أن يتم تعظيم هذا اليوم من قبل المسلمين تعظيما كبيرا وفي نفوسهم ، ومن علامات تعظيمه أن يستقبله الإنسان بالصيام وطاعة والديه وصلة أرحامه ، والتوبة من قذف الآخرين ولزهم ، وذلك كي يمن الله عليه فيعتقه من النار ، وعلى المسلم في هذا اليوم أن يحسن الاستعداد ليوم العيد خير الأيام قال عليه الصلاة والسلام : (خير الأيام يوم النحر ويوم القرن) فينبغي أن يستعد لذلك بالسرور والفرح المباح وفي حدود الشرع .

يوم عرفة والنساء

من جانبها تحدثت الدكتورة /أسماء القرشي – أستاذة الثقافة الإسلامية بجامعة العلوم والمرشدة بوزارة الأوقاف – قائلة من رحمة الله أن جعل لنا مواسم للطاعات نكفّر بها عن الزلات ، وهذه الأيام يضاعف الله فيها الحسنات والعمل الصالح فيها خير من غيرها من أيام السنة .

وعلى المرأة المسلمة أنْ تكثر من الطاعات والقربات من صلوات وصدقة وتلاوة للقرآن والذكر وكذلك التكبير والتهليل .

وأشارت القرشي إلى أنّ غالبية النساء يقضينَ هذه الأيام بالخروج للتسوق وبشكل لافت والبعض الآخر ينشغلنّ بتنظيف المنازل وإصلاح الكعك ومكسرات العيد وما يتطلبه من ملابس وغيره ، وهذا لا بأس به ولا غبار عليه ولكن ينبغي أن تكون هناك عملية موازنة بين التجهيز لكل ذلك وبين أداء الأعمال الصالحة .

وأضافت: ولقد كان التابعون أمثال سعيد بن جبير في مثل هذه الأيام يجتهد اجتهادا حتى ما يكاد يقدر عليه ، وقال ابن حجر العسقلاني في الفتح : (الذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيها وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولاياتي ذلك في غيره) .

وقال أحد علماء السلف : (من فاته هذا العام القيام في عرفة فليقم لله بحقه الذي عرفه ، ومن عجز عن المزيد بمزدلفة فليبيت عزمه على طاعة الله ، وقد قربه وأزلفه ومن لم يقدر على نحر هديه بمنى فليذبح هواه هنا وقد بلغ المنى ، ومن لم يصل إلى بيته لأنه منه بعيد فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه من حبل الوريد) .

وتدعو القرشي المرأة إلى أن تغتنم يوم عرفة بالتسامح وسلامة الصدر من الأحقاد وان تصلح ما بينها وبين ربها وما بينها وبين العباد.

وقالت: الحقيقة أن النساء يرتدن هذه الأيام الأسواق بكثرة متناسيات أن العيد شعيرة من شعائر الإسلام ، وليس للملبس والمأكل والتباهي بذلك ، فاللباس وتجهيز الكعك وتنظيف البيت وغيرها من الاعمال التي تنشغل بها النساء في مثل هذه الأيام لاتبرر لهن ضياع أيام محدودة والعمل الصالح فيها مقبول وأجره عظيم ومضاعف .

محلات بيع الملابس تراه اليوم الحسم .. وسائقو الأجرة هدفهم العودة مرات عديدة لنقل المسافرين